نحو آفاق جديدة لبناء منهج نسقي شمولي كلي للاستمداد من السيرة النبوية العطرة

مقدمات ومعالم

الدكتور رشيد كُهُوس

أستاذ بكلية أصول الدين وحوار الحضارات ومنسق "ماجستير العلوم الإسلامية: مناهج الاستمداد وآليات التجديد"- جامعة عبد المالك السعدي-تطوان-المغرب

مقدمة:

الحمد لله الذي أنزل الكتاب ولم يجعل له عوجا، وأرسل نبينا محمدا بالهدى والحق إلى الناس جميعا، أحمده حمد الشاكرين لنعمه الظاهرة والباطنة، وأصل وأسلم على سيدنا وحبيبنا محمد خير البرية، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحابته الغر المحجلين.

أما بعد؛

فإن رسالة السيرة النبوية العطرة هي بلاغ الله الأخير لأهل الأرض، وميثاقه المنزل الذي يرسم المنهاج الصحيح لرحلة الإنسانية الكبرى، وهي الأنموذج والمثال والمرجعية والمعيار، ودستور الحياة، وديوان الحضارة الإنسانية الراقية في أبهى العصور وأزهاها، حيث يتجلى أثر الإسلام في الحياة البشرية التي أرسى قواعدها على التوحيد والعدل والبر والرحمة والحرية والكرامة والتسامح والمساواة واحترام التنوع، ورعاية حقوق الآدميين وكرامتهم.. فضلا عن مركزها الدستوري لفهم القاعدة الثنائية: العناية بالروح والاستخلاف البشري لعمارة الحياة.

ذلك بأن السيرة النبوية الخالدة هي منهاج الوصول إلى بناء العمران الإنساني والتمكين في الأرض، وتحقيق مهمة الاستخلاف الحضاري البشري، وإقامة المجتمع الفاضل والحياة الإنسانية الكريمة.. في ضوء هدايات الوحي الأعلى وأنواره وبصائره.

ومن ثم فإن الحاجة تشتد اليوم أكثر من أي وقت مضى إلى العناية بالسيرة النبوية العطرة وتجديد درسها وعرضها، ذلك بأن المنهج الذي سلكه المدونون الأوائل اختزل سيرة سيدنا رسول الله ﷺ -(العهد المدني منها)- في غزواته وسراياه وبعوثه (الجانب العسكري والحربي) فقط، مع تقصير واضح في الأبعاد المقاصدية والاجتماعية والأسرية والروحية والقيمية والخُلقية والهدائية والمعاملاتية والعمرانية الحضارية والإدارية والسياسية والاقتصادية والثقافية والتشريعية والعلاقات الإنسانية وسياسة الأمم وغير ذلك.. مع العلمِ أن ذلك الجانب العسكري الحربِي لم يستغرق في مجموعه إلا أشهرا متعددة، فضلا عن أن هذا الجانب لا يرصد كلّ وجوه الحركة النبوية في هذه المغازي... فأين هو أزيد من عقدين من الزمن من عصر النبوة! وأين بقية الحركة النبوية الضخمة الدائبة في الحياة؟ وهو ما يستدعي البحث في المادة العلمية الضخمة للسيرة النبوية في كتب الحديث وشروحه وكتب التفسير والتاريخ وطبقات الصحابة وكتب الشمائل والدلائل وغيرها للوقوف على الجوانب المتعددة المهمة المرتبطةِ بالحياة وبناء الفرد والأسرة والأمة والمجتمع بناء شموليا على سائر الصعد.

ومن ثم كانت حركة الإفادة من السيرة العطرة ضعيفة جدا؛ حيث اقتصر أغلبها على سرد أحداثها، مع تهميش في معانيها التشريعية والخلقية والفكرية والمقاصدية والحضارية وغيرها.

إن السيرة النبوية العطرة تقدم لنا ثروةً مهمة في وجوه الحياة المتعددة؛ إذ هي المنهاج الشمولي اللاحب لفهم الدين في علاقته بالحياة، وهي الوجه المعملي الذي يتجلى فيه تنزيل أحكام الوحي على الواقع؛ لكن لم يُعتن بها بعد كما ينبغي، ولم تفهم كما تتطلب حاجياتُنا، ولم يتم تنزيلها بدقة وإحكام..

ذلك بأن السيرة النبوية تمثل أنموذجا يقتدى به، ودليلا يحتذى، لكن أنموذجا حيا قابلا للتجدد في روحه وإن تنوع الشكل. وبهذا الفهم الواسع المتحرك للسيرة العطرة يمكننا أن نتجاوز ضيقَ من يفهمها تكرارا حرفيا تعبديا للشكل، تكرارا تضيع معه ومن جرائه روحُها ومقاصدها.

أسئلة البحث:

- متى تستعيد السيرة النبوية مهمتها الحضارية ووظيفتها في صناعة الشخصية المسلمة وبناء الإنسان الكوثر الصالح للنهضة ومواصلة دور الريادة على سائر المستويات؟

- وما هي معالم الرؤية الشمولية التكاملية النسقية الكلية للمنهج السديد للاستمداد من السيرة النبوية الطاهرة؛ من أجل استثمار إنجازها العمراني والمجتمعي والأسري والسلوكي والتصوري والتزكوي لتحقيق حركة الإقلاع الحضاري وبناء العمران البشري من جديد؟

- كيف يمكن لعملية الإحياء أن تسهم في استثمار السيرة النبوية العطرة وتنزيلها على واقع الحياة اليوم؟

أهداف البحث:

تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق الآتي:

- وضع خارطة واضحة المعالم لوعي فقهي فكري ثقافي عمراني اجتماعي لنصوص السيرة العطرة وأحداثها.

– محاولة فهم رسالة السيرة النبوية العطرة في سياقاتها ومقاصدها التي بعث صاحب الشريعة الغراء ﷺ من أجلها.

– بيان الآفاق الواسعة لاستثمار السيرة النبوية والإمكانات الكبرى للاستفادة من مادتها المهمة.

– الكشف عن ملامح الاسترشاد بالسيرة العطرة والاستهداء بنورها في استئناف الدورة الحضارية واسترداد فاعليتها.

– محاولة تجاوز النظرة الجزئية التبعيضية لمفهوم السيرة والانفتاح على بقية الأبعاد الشمولية التكاملية الكلية الأخرى في هذه السيرة العطرة.

– محاولة وضع معالم لمناهج الاستمداد من السيرة النبوية الخالدة في ضوء الحركة النبوية الكلية الشاملة في الدعوة والتربية والإصلاح والبناء والتشريع، والإطار السنني المرجعي العام المؤطر للصيرورات الثقافية والحضارية والاجتماعية للخلافة البشرية وحركة ميلاد الإنسان.

عناصر البحث:

سأقسم هذا البحث إلى مبحثين:

المبحث الأول: سأتناول فيه معالم المنهج الجديد للاستمداد السليم من السيرة النبوية الطاهرة.

والمبحث الثاني: سأخصصه للأبعاد المقاصدية للمنهج الجديد للاستمداد من السيرة العطرة وتجديد عرضها ودرسها.

منهج البحث:

سلكت في الإجابة عن أسئلة البحث المنهجين: الاستقرائي والتحليلي.

والله تعالى أسأل التوفيق والسداد والرشاد.

المبحث الأول

معالم المنهج الجديد للاستمداد من السيرة النبوية العطرة

إن الكلام عن التجديد وعن معالم المنهج الجديد للاستمداد من السيرة النبوية الخالدة يقتضي بالضرورة تأملا في مواطن الضعف، وتعرفا لمكامن الخلل ومواقع القصور من مختلف الجوانب، حتى يتناول التجديد جميع الجوانب بالإصلاح، وتتحقق الأهداف المنشودة من التجديد في مجال السيرة الشريفة.

وهنا يمكن القول: إن عطاء السيرة النبوية العطرة خالد متجدد لا محدود لكل الأجيال، وبلاغها الرسالي مستمر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ففيها ما تحتاجه البشرية من رشد وهداية وصلاح في المعاش والمعاد.

فهي ربانية مسددة بالوحي، وعالمية تستوعب الأمم كلها، والعصور المعاصرة لها واللاحقة بها جميعها، وعميقةٌ في منهاجها الذي يشمل ميادين الحياة كلها، وشاملة لقضايا الفرد والأسرة والمجتمع والأمة والحضارة.

وبناء عليه؛ فإن حاجة الإنسانية تشتد إلى سيرة خير الأنام عليه الصلاة والسلام في هذه الظرفية التي يعيشها العالم أكثر من أي وقت مضى؛ لأنها سيرة شخصية عظيمة كاملة جامعة لكل صفات الكمال ومكارم الأخلاق ومحاسن الخصال..

ونظرا إلى المكانة التي تحظى بها السيرة النبوية في الحياة الإنسانية، فإن تجديد قراءتها أصبح من أوجب الواجبات وأهم الضروريات في الوقت الراهن.

ذلك بأن المقصود بالتجديد هو العودة إلى الينابيع الأولى، وإعادة التقويم بها، وبذلك يتحقق الحفظ والاستمرار، وديمومة العطاء للسيرة النبوية العطرة، ليصبح منهاج النبوة هو الإطار المرجعي والضابط المنهجي، والمعيار للمراجعة المستمرة، وإعادة تقويم الواقع، قبل أن ينغلق على تقاليده التي يكرسها التوارث الاجتماعي، لذلك قال رسول الله ﷺ: « إِنَّ اللَّهَ عز وجل يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا»[1].

إن التجديد روح تسري في جسم الأمة جميعًا، تُؤذِن بحَرَاكه، وتشحذ همته، وتجمع طاقته، وتحرِّض هواجس التغيير والسعي للتجديد في مناهج النظر والاجتهاد ومنتجاتها على مستوى الأمة.

لقد جُعل التجديد تكليفًا، ولم يقتصر على أن يكون إخبارًا.. والتجديد –الذي هو النظرُ في الواقع، وتقويمِه من خلال المنهاج النبوي، والنظر إلى المنهاج النبوي وكيفياتِ التزامه والإفادة منه من خلال الواقع، والتوجُّهُ صوبَ قضايا الحياة والإنسان، ومشكلاتها ومتغيراتها، والاجتهاد في وضع الأحكام والرؤى الشرعية الجديدة لها– هو لازم من لوازم الخاتمية، حيث توقف التصويب من السماء، فلابد من ممارسة عمليات التصويب والتقويمِ للواقع في ضوء مرجعية قيم السماء وبيانها النبوي المتجلي في السيرة العطرة[2].

ومن ثم فإن نهوض الأمة ومعاودة إخراجها واسترداد فعاليتها مرهون إلى حد بعيد، باستقراء ظروف ميلادها الأول وشروطه التي يتجلى في الاهتداء بالسيرة النبوية العطرة.

ذلك بأن انبعاث هذه الأمة أو إعادة بعثها لمعاودة العطاء من معين النبوة، وإنقاذ البشرية، والإسهام في بناء حضارة إنسانية، ومعالجة أزمة الحضارة المعاصرة، سوف لا يتأتى إلا إذا كانت الأمةُ في مستوى إسلامها كتابًا وسنة، وتجربتها الحضارية التاريخية درسًا وعبرة، وفي مستوى عصرها استيعابًا وتعليمًا وإعلامًا واتصالا وحوارًا ومشاركة... وإذا كان انبعاث أيّ مجتمع أو أية أمة مرهونًا بتوفير شروط الانبعاث الأولى وظروفه، حيث لا يصلح أمر آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، فإن المطلوب اليوم أكثر من أي وقت مضى بعد هذه التجارب المرة والمريرة، العودة للتلقي عن الأصول والينابيع الأولى، والتحقق بأدوات الانبعاث التي اعتمدتها النبوة لتحقيق الولادة الجديدة للأمة المسلمة، بعد هذا التيه، أو هذا

[1] – سنن أبي داود، كتاب الملاحم، باب ما يذكر في قرن المئة، ح٤٢٩١.

[2] – المنهج النبوي في التغيير، من تقديم: عمر عبيد حسنة، ص٢٤–٢٥.

الدخول المعاصر في مرحلة الضياع أو الضلال الثقافي والسياسي عن أهدافها وعن الوسائل الصحيحة للوصول إلى أهدافها والاضطلاع برسالتها الحضارية"[٣].

وبناء على ما تقدم فإن المنهج الجديد للاستمداد من السيرة النبوية الشريفة يجب أن يتأسس على هذه الأساسات وينطلق من هذه المنطلقات –حتى يعطي ثمارا يانعة ونتائج هادية–:

١– اعتماد المنهج الأصولي الشمولي:

إن المنهج الجديد للاستمداد من السيرة الخالدة يقتضي الانتقالَ بها من المنهج السردي إلى المنهج التحليلي الاستقرائي الاستنباطي يتتبع وقائعها ومفرداتها ويستنطق أحداثها في وحدة موضوعية واعية متناسقة البدايات والنهايات والمقدمات والنتائج والعلل والمعلولات من أجل اكتشاف بصائرها وهداياتها وأبعادها المقاصدية وخصائصها الرسالية البلاغية للإنسانية، وأسرارِها الربانية ومعانيها السامية التي بُعث من أجلها منقذُ البشرية ﷺ.

ذلك بأن النظرة التجزيئية لمروياتها تحجبنا عن الاستفادة منها في حياتنا المعاصرة، وفي هذا يقول الدكتور ضياء أكرم العمري: "إن التحليل للروايات والتعامل معها يبدو أكثر قصورا، بسبب النظرة التجزيئية للقضايا والسطحية في التعامل مع الروايات وعدم وضوح التصور الإسلامي لحركة التاريخ ودور الفرد والجماعة والعلاقة الجدلية بين القدر والحرية وقانون السببية والربط بين المقدمات والنتائج. فضلاً على أن الكتب التاريخية القديمة لا تمدنا بمنحى واضح في التحليل والتصور الكلي بسبب اعتمادها على سرد الروايات فقط، إذ قلما يشير المؤرخ الإسلامي القديم للسنن والنواميس والقوانين الاجتماعية التي تحكم حركة التاريخ رغم أن القرآن الكريم لفت نظر المسلمين إلى ذلك كله بوضوح بل أن أحدا من مؤرخي الإسلام لم يحاول إعادة صياغة النظرة القرآنية للتاريخ وتقديم الوقائع والتطبيقات والشواهد التاريخية عليها بشكل نظريات كلية حتى وقت متأخر عندما كتب ابن خلدون مقدمته، رغم أن المفكرين المسلمين تعاملوا مع الفلسفة والمنطق منذ القرون الأولى وأفادوا منها في بناء علوم اللغة وأصول الفقه بوضوح وتصرفوا في ذلك بعقليتهم اليقظة التي تنفي ما يناقض المعتقد الإيماني والتصور الإسلامي، ونجحوا في ذلك إلى حد كبير، وكان نجاحهم في تخطي التجربة يرتبط بمدى وضوح العقيدة وصفائها في عقولهم"[٤].

وأيُّ ذهول عن المنهج الشمولي النسقي وثوابته وأخلاقياته وانزلاق نحو تعاطي الفروعية التجزيئية التبعيضية بمعزل عن المنهج المنضبط في الفهم والصياغة والتنزيل، سيؤدي لا محالةَ إلى التورط في متاهات المنهجية الاستثمارية الآلية التنافرية التي تتعامل مع المعطيات المعرفية الجزئية الهائلة للسيرة العطرة دون أن تستفيد منها في حركة الإحياء والتجديد الاجتماعي والشهود الحضاري ومواجهةِ تحدياتها المتلاحقة.

---

[٣] –استخدام الرسول ﷺ الوسائل التعليمية، من تقديم: عمر عبيد حسنة، ص١٣.

[٤] – السيرة النبوية الصحيحة، العمري، ١٥/١.

وعليه؛ فإن امتلاك ناصيةِ المنهجِ هو الطريق الصحيح للتعامل الأمثل مع معطيات السيرة العطرة، لأنه يساعد على استثمار السيرة النبوية وتنزيلها تنزيلا سليما في الواقع.

ذلك بأن الوعي بالأبعاد الحركية والوظيفية للسيرة العطرة يمثل قضيةً جوهرية في تحديد عرضها ودرسها وفهمها وقراءتها والوعي بوقائعها ومراحلَها وسياقاتها ومنظومتها القيمية.

من الأهمية بمكان القول: إن الأزمة الحقيقية التي نعاني منها اليوم هي أزمة فهم عملي، وأزمة تعامل مع قيم الوحي وتحويلها إلى برامج من خلال مسيرة السيرة النبوية.. أو بكلمة مختصرة: أزمةُ تعاملٍ مع معرفة الوحي بشكل عام، أو استيعاب المنهاج النبوي، سواء في ذلك من ينكرون وجود المنهج، في الكتاب والسنة ابتداءً، ويعتبرون أن الأزمة اليوم، أزمة منهج، أو من يسلمون بوجود المنهج، إلا أنهم عاجزون عن وضع مناهج فهم، وتعامل، من خلال القيم نفسها، ونسقها المعرفي، وتراثها الممتد الذي يشكل عقلها الجماعي، وشخصيتها الحضارية التاريخية.. لذلك نراهم يتطاولون على التراث، ويحكمون عليه من خلال تشكيلهم الثقافي، بعيدًا عن القيم المعيارية التي أنتجته، وإنما من خلال قيم حضارات، ومناهج معرفية، وعقائد أخرى، لذلك لا يخرج عملهم عن طحن الماء، على الرغم من الجهد المبذول، والمال المهدور، دون أن تكون عندهم القدرة على إيجاد البديل، أي بديل، وقد يضطرهم سعيهم في النهاية، بسبب فقر إنتاجهم إلى احتضان أشخاص، قد يفتقرون إلى أدنى حد من المرجعيات الشرعية ، سواء في دراستهم الأكاديمية، أو كسبهم الثقافي، أو في مسالكهم، وإنما هم متخصصون، بالمنهج الغربي، ونظامه المعرفي، وأدواته البحثية، ويحاولون اليوم أن يجعلوا من الإسلام والنصوص الإسلامية في الكتاب والسنة، محلاً للتحليل والدراسة، وفق المناهج والأنظمة المعرفية: الخارجة عن نسقه، وقد يلحقون بأعمالهم أي شعار إسلامي، لتمريرها وتسويقها في عالم المسلمين.. إنهم يجرؤون على الفتوى في المعرفة، ويبتدعون في الفكر، وقد لا يحسنون معرفة فرائض الوضوء، وأحكام الحلال والحرام التي يجب أن تعرف من الدين بالضرورة، وقد لا يستطيع الكثير منهم أن يقيم لسانه بآية أو حديث، وغاية عملهم اقتطاع بعض النصوص الإسلامية، وإعمال أدوات المناهج الغربية في فهمها، وإعادة تفصيلها.. فكيف والحال هذه ستكون النواتج الفكرية والثقافية، خاصة إذا علمنا أن الأدوات المعرفية ووسائل البحث ومناهج الفهم والتفكير ليس آليات محايدة، وإنما هي ثمرة لخلفيات عقائدية، ومرجعيات حضارية لا تخرج عن أن تكون جزءا منها؟[٥].

ومن ثم فإن المنهاج النبوي، إذا لم يُدرَك بمراحله وأبعاده، ويميَّز بين ثوابته، ومتغيراته، ومراحله، وتدرك الظروف والشروط التي توفرت لكل مرحلة، يمكن أن ينقلب إلى مُعوِّق، بسبب سوء الفهم، ومن ثم سوء التطبيق، بدل أن يكون دافعًا للنهوض.. لذلك فالأمر لا يجوز أن يبقى خاضعًا لرؤية فردية، تدعي الإحاطة بكل شعب المعرفة، وإنما لابد له من دراسات متخصصة، بشعب المعرفة المتنوعة، شريطة أن تكون متحصنة بالمرجعية الشرعية الكافية؛ للتمييز بين ما هو من الوسائل، وما هو من الأهداف، وما هو من المبادئ، وما هو من البرامج، وما هو من القيم المعيارية، وما هو من الاجتهاد

[٥] – المنهج النبوي في التغيير، من تقديم: عمر عبيد حسنة، ص١٩.

الخاضع للتقويم، لتشكيل رؤية جماعية لكل عصر، بحسب مشكلاته وظروفه ، وإمكاناته، وقضاياه، وموقعه من مسيرة النبوة[٦].

٢- الربط بين نصوص السيرة والواقع المتجدد (إحكام تحقيق المناط):

إن امتلاك الإمكانية على قراءة السيرة العطرة في كل عصر بشكل يحقق القدرة على الإجابة عن مشكلات الواقع في كل زمان ومكان، أو بمعنى آخر امتلاك القدرة على تجريد السيرة النبوية من قيد الزمان والمكان، وتوليد رؤيةٍ من خلالها، لمعالجة الواقع والإجابة عن أسئلته ومشكلاته، وإن أية قراءةٍ بعيدة عن هذه الإجابة، أو عاجزةٍ عنها، أو لا تشكل رؤيةً إضافية، هي تكريسٌ للضياع، وتعطيل لفاعلية السيرة في حياة الأمة.. صحيح أن المسلمين نقلوا السيرة من جيل إلى جيل، فحققوا أمانة النقل والحفظ.. أما قراءةُ السيرةِ لكل جيل من خلال مشكلاته ومعاناته والإجابة عن أسئلته، فقد لا يتوفر في المكتبة الإسلامية من ذلك إلا النزر اليسير.

وإذا نظرنا إلى المشكلة من هذه الزاوية -زاوية قراءة السيرة لكل جيل من خلال مشكلاته- أمكننا القول: إن الكثير من كتب السيرة النبوية التي بين أيدينا، إذا نزعنا عنها تاريخَ الطبعةِ واسم المؤلف، لا يمكن أن نعرف لأي عصر تنتسب، وأي مجتمع تُخَاطِب، وفي أي زمن صَدَرت، ما لم ننظر في اسم المؤلف وتاريخ الطبعة ومكان الصدور.

وقد تكون المشكلة الحقيقية هنا، كامنةً في غياب المقاصد الحقيقية التي تمثل معاني الخلود، عند دارسي السيرة النبوية، الخلودُ الذي يعني تجردها عن قيود الزمان والمكان، وقدرتها على الإجابة عن مشكلات الأمة في كل زمان ومكان الأمر الذي جعلها -على أحسن الأحوال- تاريخًا من التاريخ، وليست مصدرًا للتشريع والاهتداء.

ومما لا شك فيه أن السيرة من الناحية الزمانية والناحية المكانية، أي الجغرافيا التاريخية، تمثل حلقةً تاريخيةً من حياة الأمة المسلمة، لكن هذه المرحلة هي من التاريخ، وهي من الحاضر، وهي من المستقبل.. هي من التاريخ والجغرافيا زمانًا ومكانًا، كما أسلفنا، لكنها من الحاضر عطاءً ومصدرًا للتشريع، ومن المستقبل رؤية واستشرافًا.. فإذا كان التاريخ مصدرًا للدرس والعبرة، فإن السيرة مصدرٌ لذلك وما فوقه، فهي مصدر للتشريع، لأنها فترةٌ مسددة بالوحي ومؤيدة به، وحقبة بيانٍ عملي، ودليل تعامل خالد، لتنزيل قيم الإسلام أو قيم السماء على الواقع البشري، لذلك فأيةُ دراسةٍ للسيرة الشريفة لا تتحقق بهذه الرؤية، ولا تنطلق من هذه المنطلقات، سوف لا تبلغ المقصد، ولا تحقق الهدف.

إن غياب هذا المنطلق أدى من جانب إلى الامتداد والاستمرار والتبحر في فقه الأحكام النظري، سواءٌ في ذلك الفقهُ الذي يسير خلف المجتمع ويكتفي بالحكم على تصرفاته بالحلال والحرام، بدلَ أن ينزل إلى الساحة فيُصبغها بفعل الحلال ومنع الحرام، أو الفقهُ الذي خرج من الحاضر والمستقبل، واستغرقه التنظير بالفراغ بعيدًا عن معالجة المشكلات الحقيقية.

---

[٦] - نفسه، ص٢٠.

كما أدى غياب هذا المنطلق أيضًا، إلى تراجع أو توقف الاجتهاد في الفقه التنزيلي، فتحول الفقه إلى تجريدات ذهنية بعيدة عن الواقع، وبدأ مجتمع المسلمين يتشكل ويحل مشكلاته بالوافد من القوانين والخطط المطلوبة للحياة التي ابتعدت به عن الفقه التطبيقي، وأصبح الفقه لاحقًا للمشكلات لا سابقًا عليها كي ينير لها الطريق.

وهنا قضية جديرة بالتنبيه، وهي أن السيرة النبوية التي اكتملت على عين الوحي وتسديده، والتي هي فعل المعصوم، لها صفة المعيارية الخالدة في الإطار العملي التطبيقي[٧].

فاعتقاد الخاتمية والخلود للسيرة العطرة يترتب عليه استمرار عملية التجديد في قراءتها واستلهام هداياتها، وعدم الجمود والتوقف العقلي عند قراءات السلف فقط.

فخلود نصوصها —كما هو مؤكد— لا يعني خلود فهمها، وعصمة الدين لا تعني عصمة التدين، وثبات النص لا يعني جمود الفهم، وإنما يعني خلودَ المعيار والمقياس الذي تُقاس به حالةُ المجتمع لمزيد من التقويم والتقدم، ويعاير به الواقع لاكتشاف جوانب الخلل والتخلف لمعالجته ومفارقته.

وبَدَهي أن التجديد أو المنهج الجديد لا يعني الإلغاء والتبديل لآيات القرآن الكريم، ولا تبديل نصوص السنة الشريفة والسيرة العطرة، وإنما يعني العودةَ إلى التلقي من الينابيع الأولى والعودة إلى الجادة المستقيمة، ونفيُ ما يمكن أن يلحق بالتدين من علل وإصابات، ناشئةٍ من طبيعة الإنسان وغفلته وجهله واتباعه للهوى، وإلفه للتقليد، ونسيانه وانحلال عزمه وضعف عزيمته، وتجمده على فهوم واجتهادات بشرية جاءت لمعالجة مشكلات عصر معين، ذلك بأن من المسلم به أن صواب الاجتهاد لعصر معين لا تعني بالضرورة صوابه لكل عصر.

نعود إلى التأكيد أنه: ليس المراد بالتجديد الإلغاء والتبديل وتجاوز النص، وإنما المراد هو الفهم الجديد القويم للنص، فهمًا يهدي المسلم لمعالجة مشكلاته وقضايا واقعه في كل عصر يعيشه، معالجة نابعة من هدي الوحي[٨].

لذلك كان منهج المقاصد والغايات والأهداف والاستطاعات.. لم يكن جامدًا على حالة واحدة من حالات الفرد والمجتمع والأمة والدولة، والاستطاعة .. ولم يضع قوالبَ يابسةٍ ليَصُب الناس فيها بكل أحوالهم وحالاتهم، وإنما كان يتغير بحسب الرؤية المتوفرة، والمصلحة المتحصلة، والهدف المطلوب.. يتغير بحسب الظروف والإمكانات، ليستحق أن يشكل القدوةَ للإنسان، في كل ما يُعرض له، حتى على مستوى الدعوة والفكر.. كان للحرب خطابه ووسائله، وكان للعهد والسلم شروطه وضوابط وكان للنصر فقهه، وللهزيمة فقهها، وكيفيات التعامل معها[٩].

٣- مراعاة فقه الواقع:

---

[٧] – في السيرة النبوية قراءة لجوانب الحذر والحماية، إبراهيم أحمد، من تقديم: عمر عبيد حسنة، ص٢٢ وما بعدها.

[٨] – الاجتهاد الجماعي في التشريع، عبد المجيد السوسوه الشرفي، من تقديم عمر عبيد حسنة، ص١٨.

[٩] – المنهج النبوي والتغيير الحضاري، ص٢٣.

إننا بفقه الواقع ومكوناته واستطاعاته وعلاقاته وتفاعلاته نستطيع بناء رؤية شمولية قادرة على قراءة السيرة العطرة بأبجدية صحيحة، قراءَة تكون قادرة على تحديد مواطن الإصابة وتعرف أسبابها، ومن ثم تحديد الموقع الصحيح والتكليفِ الشرعي والحكم الملائم والمناسب للتعامل مع هذا الواقع، في ضوء الاستطاعات المتوفرة والظروف المحيطة، بعيدا عن الأمنيات التي تستدعي الكثير من المجازفات وتنتهي بهدر الطاقات، وبذلك تزداد الأمة تخلفا وتراجعا وعجزا عن توظيف إمكاناتها إن لم نقل تنميتها والارتقاء بها لتحقيق قدر أكبر من العطاء[١٠].

إن القراءة الواعية لنصوص السيرة العطرة ووقائعها تنقلنا من عقلية التكديس والنقل والتقليد إلى ذهنية الإبداع والاجتهاد والتجديد والاتباع بإحسان.

ومن مرحلة الإحساس إلى مرحلة الوعي والإدراك..

ومن الإبصار بالمقدمات إلى البصيرة بالمآلات والعواقب.

ومن الاقتصار على تحقيق النص والتدليل على صحته والحديث عن عظمته وأثره في الإنجاز التاريخي والحضاري إلى التفكير بآليات وكيفيات إعمال النص في واقع الحياة.

ومن تقديس التراث والافتخار به إلى استنطاقه ليجيب عن أسئلة الحاضر ويبصر بالمستقبل.

ومن السير خلف المجتمع والقبولِ بمجرد الحكم على تصرفاته إلى السير أمام المجتمع وقيادته وبيان سبل السلام والأمن لمسيرته.

ومن النظرة الجزئية التجزيئية الضيقة إلى الرؤية الشاملة لمقاصد الدين وأهميته في بناء الحياة وإقامة العدل والعمران.

ومن التوهم بأن أرقى درجات السمو والتضحية اقتصارٌ على الموت في سبيل الله إلى التفكير المتوازن لبناء الحياة في سبيل الله وفق منهاج رسول الله ﷺ.

ومن غريزة التعصب وعدم إبصار غير الذات إلى رحابة الفطرة والمعرفة وإبصار سنة الاختلاف والتنوع وإبصار المشترك الإنساني للتعايش والتعارف الحضاري[١١].

ومن ثم فإذا كانت السيرة العطرة هي التجسيدَ الخالدَ للرسالة، والبيان العملي للقرآن وتنزيلِه على واقع الناس، الأمرُ الذي يعني أنها –ومن خلال مسيرة النبوة التي بلغت ثلاثة وعشرين عامًا بين الدعوة والدولة، حتى وصلت إلى مرحلة الكمال والاكتمال، والتي تم خلالها بناء أنموذج الاقتداء– استوعبت جميعَ الحالات أو أصولَ الحالات التي يمكن أن تمر بها البشريةُ حتى قيام الساعة، يبقى المطلوبُ من الدراسة الاستراتيجية التي ندعو إليها: الدقةُ في قراءة الواقع الذي عليه الناس، والإحاطةِ بعلمه من خلال متخصصين لا متحمسين فحسب، وتحليلِه بدقة، ومن ثم دراسةُ السيرة وتحليلها –والتحليل

[١٠] – وثيقة المدينة المضمون والدلالة، أحمد قائد الشعيبي، ص١٠.

[١١] – وثيقة المدينة المضمون والدلالة، أحمد قائد الشعيبي، من تقديم: عمر عبيد حسنة، ص١٤.

المقصود غير النقل- وتفسير أحداثها، ومن ثم تحديدُ موقعِ الاقتداءِ من مسيرة السيرة، أو اكتشافُ المرحلةِ من السيرة التي تمثل حالةَ الاقتداءِ وكيفية الاقتداء، من خلال ظروف الحال التي عليها الناس.

وهذا لا يعني بحال من الأحوال سقوطًا في منهج الانتقاء، أو إخضاعًا لمنهج الانتقاء والتقطيع في السيرة النبوية؛ وإنما يعني التحققَ بالرؤية الشاملة للسيرة، بمراحلها المتعددة، ووضع واقع الأمة في موقعه المناسب من مسيرة السيرة.. [١٢].

٤- التمييز بين التصرفات النبوية وأحوالها السياقية:

إن السيرة النبوية العطرة مصدر التشريع بكل آفاقه وأبعاده، وليس التشريعُ الذي نقصده هنا الحكم التشريعي وإنما الاقتداء في جميع مجالات الحياة وكيفيات التعامل معها وتعاطيها، وأن ما عداه من التاريخ فيبقى مصدرًا للعبرة والدرس..

ذلك بأن المطلوب دائمًا هو الفقه والوعي والإحاطة واستيعاب الحال التي عليها الناس، ومن ثم الموقعُ المناسب للاقتداء من مسيرة السيرة، وإلا فسوف يحصل العبث في التنزيل للأحكام وصور الاقتداء.

والأمر الذي لا بد أن نلفت النظر إليه هو أن السيرة الشريفة لا يمكن أن يحكمها عصر أو شخص أو جغرافية أو فعل أو جنس أو زمن أو تاريخ، وإنما هي محل للنظر والاجتهاد والعطاء في كل عصر ولكل عصر ولكل واقع، بحسب ما يلائمه، وهذا لا يعني الانتقاء أو تقطيع الصورة، وإنما يرتكز إلى الإيمان بالصورة الكلية والارتكاز إلى الاستطاعة في تحديد موقع الاقتداء[١٣].

قد تكون الإشكالية، كل الإشكالية اليوم، في منهجية الاقتداء، في كيفية الاقتداء في المحل المعين من مسيرة الأنموذج (من السيرة) الذي يشكل أنموذج الاقتداء في هذه المرحلة وهذه الحالةِ التي تمر بها الأمة ويعاني منها الناس، الموقعُ الذي يكون قادرًا على الإجابة عن المشكلة والهداية إلى الحلول المناسبة، ذلك بأن عدم فقهِ موقعِ الاقتداء بالضبط، أو التعرف إلى الواقع الذي تعيشه الأمة في هذه المرحلة بالذات، وعدم تحديد الموقع المناسب من مسيرة السيرة الذي يلائمه، فسوف يتحول هذا الاقتداء الأعشى إلى نوع إشكالية؛ بدل أن يكون حلًا يصبح إشكالية على الرغم من الاقتداء بفعل المعصوم، عليه الصلاة والسلام؛ لأن المحل المختار من السيرة لا يشكل محل اقتداء بالنسبة لحالة الأمة واللحظة التاريخية التي تمر بها.

هذا من جانب، ومن جانب آخر نستطيع أن نقول: إن صور الاقتداء عند مسلمي عصر التخلف وفكر التخلف وعقل التخلف تحولت إلى نوع من التقليد والمحاكاة، والاقتصار على الأشكال فقط من اللباس والطعام والهيئة، على ما فيها من خير، دون القدرةِ على فقه الاتباع والتأسي والتدبر، من خلال معطيات السيرة، لتدبير الواقع والاهتداء والاستضاءة بها لكيفية التعامل معه ومعالجته[١٤].

---

[١٢] - في السيرة النبوية قراءة لجوانب الحذر والحماية، إبراهيم أحمد، ص٢٧.

[١٣] - وثيقة المدينة المضمون والدلالة، أحمد قائد الشعيبي، من تقديم: عمر عبيد حسنة، ص١٩.

[١٤] - نفسه، ص٢٠,٢١.

أضف إلى ما تقدم ضرورة التمييز بين "مقامات الأقوال والأفعال الصادرة عن رسول الله ﷺ، والتفرقة بين أنواع تصرّفاته فيها"[١٥]. مع ضبط محل الاقتداء وما يحتف به من قرائن والأحوال والسياقات. وذلك لتثبيت ديمومة عطاء السيرة العطرة واستمرار فعاليتها ونفي ما علق بها من مناهج ومفاهيم وقراءات منحرفة عطلت مقاصد الاقتداء وأسرار التأسي.

أضف إلى ذلك ضرورة ربط السيرة النبوية بالمكان والزمان والإنسان، وهذا أدق أنواع الفقه بل أخطرها، وأمتنا اليوم تعاني من الانحراف البين في عملية تنزيل وقائع السيرة العطرة على الواقع، ما بين إفراط وتفريط، أو عجز عن الربط بين السيرة الخالدة وواقع المسلمين. لذا يكون من المناسب ونحن نتحدث عن تجديد درس السيرة العطرة، ربطُها بالزمان والمكان والإنسان. مع التفريق بين الثابت المعياري –وهو الأصول القطعيات والقواعد الكليات–، والمتغير الواقعي المصلحي في السيرة النبوية —وهو الذي يقبل الاجتهادات ويتغير حسب الأحوال المختلفة زمانا ومكانا وإنسانا، وهي المسائل الظنيات[١٦].

٥– استحضار المقاصد الشرعية:

إن القرآن الكريم ينطوي على أرقى المقاصد وأكبرها، وأعلى المصالح وأعظمها، فهو أصل الأصول ومصدر المصادر، وأساس النقول والعقول. وجميع المقاصد المهمة والمعلومة والمقررة في الشرع راجعة في جملتها أو تفصيلها، تصريحًا أو تضمينًا إلى هدي القرآن وتعاليمه وأسراره وتوجيهاته، فمنه استفيدت العديد من الخصائص العامة للشريعة الإسلامية المتصلة بالمقاصد الشرعية، على نحو خاصية التيسير والتخفيف، ورفع الحرج والوسطية والاتزان والسماحة والرفق، واللين والواقعية، وغير ذلك من الخصائص الكلية والسمات العامة.

ثم جاء سيدنا رسول الله ﷺ بسيرته العطرة مبينًا لأحكام القرآن وشارحًا ومدعمًا لها، ومُبرزًا لمقاصدها وأسرارها.

فمن سيرته العطرة تستفاد غايات الوجود الكوني وأهداف الحياة الإنسانية، ويتبين المقصد الكلي المتعلق بتحقيق عبودية الخالق، وإصلاح المخلوق. ومن سيرته العطرة استخلصت وفُصِّلت الكليات الخمس: (حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال)[١٧].

والجدير بالذكر هنا أن "المقاصد الشرعية من المعطيات الضرورية التي يعاد إليها في معرفة أحكام حوادث الزمان وأحواله، ولا سيما في عصرنا الحالي الذي تكاثرت قضاياه، وتضخمت مستجداته، وتشابكت ظواهره وأوضاعه، وتداخلت مصالحه وحاجياته، وليس لذلك من سبيل سوى جعل المقاصد إطارا جامعا، وميدانًا عامًا"[١٨]، وسبيلا موصلا لفهم السيرة النبوية الشريفة والاستمداد منها في هذا العصر وغيره بما يحل مشكلات الأمة، ويصلح أحوالها وأوضاعها، ويحقق مصالحها العاجلة والآجلة في الدنيا والآخرة.

---

[١٥] – مقاصد الشريعة، ابن عاشور، ٢/٢٢٢.

[١٦] – ربط أحداث السيرة الشاملة بمجال عملها (الزمان–المكان–الإنسان) آلياته ومتطلباته وآثاره، أحمد محمد زايد، ص٤١٢.

[١٧] – ينظر بحث: "اعتبار المقاصد الشرعية والمآلات من خلال السيرة النبوية"، مصطفى البكري الطيب الشيخ الهادي.

[١٨] الاجتهاد المقاصدي، نور الدين الخادمي، تقديم: عمر عبيد حسنة، ١٤١/٢.

وهكذا فإن "الفقه المقاصدي إذا أخذ سبيله إلى التشكيل الثقافي سوف يخلص العقل المسلم من الفوضى وانفلات الفقه والمعيار في التعامل مع الأحكام الشرعية، ويمكن من حسن اختيار وتقدير الموقع المناسب للاقتداء والتأسي من مسيرة النبوة والأحكام المناسبة للمرحلة والحالة التي عليها الاستطاعة، فلا يصاب بالخسران والخيبة والإحباط لعدم استكمال تنزيل جميع الأحكام على جميع المجالات، بل يطمئن إلى أنه يطبق كل الأحكام الشرعية المناسبة للحالة والواقع والإمكانات، فهو بذلك مطبق للشريعة متق لله بقدر الاستطاعة... وهذا التطبيق الجزئي بالنسبة لشمول الشريعة المستطاع المتناسب مع الحالة والواقع بالنسبة للفرد، هو السبيل للتحضير والتنمية للإمكانات والاستطاعات للارتقاء من الحسن إلى الأحسن"[١٩].

يقول الإمام ابن القيم –رحمه الله–: "إن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها؛ فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث، فليست من الشريعة، وإن أدخلت فيها بالتأويل، فالشريعة عدل الله بين عباده، ورحمته بين خلقه، وظله في أرضه، وحكمته الدالة عليه، وعلى صدق رسوله أتم دلالة وأصدقها"[٢٠].

وفي ضوء هذا النص فإن كل تجديد لدرس السيرة العطرة تَنكَّب مقاصد الشريعة الإسلامية، لا يعتمد عليه ولا يعول عليه.

والحاصل أن الأمة اليوم في أمس الحاجة إلى القراءة المقاصدية للسيرة النبوية العطرة.. فالاتجاه المقاصدي في الاستمداد من الوحي إنما استدعته مقتضياتُ تحقيقِ خلود الشريعة والامتدادِ بأحكامها، وبسطها على جميع جوانب الحياة والتدليل على رعايتها لمصالح العباد، وتخليص الفقه وعلى الأخص في عصور التقليد والجمود والركود العقلي من النظرة الجزئية والصورة الآلية المجردة البعيدة عن فقه الواقع، حيث انتهى الأمر إلى قواعد مجردة وقوالب بعيدة عن الارتباط بالغايات الأصلية التي قد تكون انتهى إليها، إلى درجة قد تفوت المصلحة، وإعادة توجيهه صوب تحقيق مصالح العباد في معاشهم ومعادهم، وهي الغاية التي من أجلها جاءت الشريعة وبعث سيد الخليقة وكانت الرسالة، ومعالجة مشكلات المجتمع والتعامل مع قضاياه وحاجاته[٢١].

ومن ثم فإن استحضار البعد المقاصدي في عملية التجديد هو المدخل الأساس العاصم من الانحراف في تجديد عرض السيرة الشريفة وتنزيلها ومن الوقوع في الخلل والزلل والاضطراب في فهمهما وتطبيقها.

ذلك بأن المنهاج النبوي في التعامل مع الواقع قد استوعب ومر بالحالات كلِّها التي يمكن أن تُعرض لها المجتمعات البشرية عامةً، والإسلامية خاصة، نهوضًا وسقوطًا وحركةً وركودًا، وامتلك الحلول والإجابات الكاملة، لأصول المشكلات الإنسانية والاجتماعية والحضارية، وكيفيات التعامل معها، وإلا كيف استحق أن يكون خالدا، وأن يكون محل الأسوة والاقتداء؟!

---

[١٩] – الاجتهاد المقاصدي، نور الدين الخادمي، ١/٢٣-٢٤.

[٢٠] – إعلام الموقعين عن رب العالمين، ٣/١١.

[٢١] – الاجتهاد المقاصدي، الخادمي، ١/٣٥.

لذلك فمن الأهمية بمكان – ونحن بسبيل النهوض بدرس السيرة وتجديد قراءتها– امتلاك القدرة على الوعي بالمنهاج النبوي، وإدراكِ مراحله بدقة، ومقاصده في كل مرحلة، ومرونته في التعامل مع الواقع في ضوء تلك المقاصد، أمرًا ونهيًا، وحظرًا وإباحة، ورخصة وعزيمة، بحسب الظروف والأحوال، والاستطاعات، وتوفر الأسباب، ومن ثم القدرةُ على تحقيق خلوده، وذلك بتجريده من حدود الزمان والمكان وقيودهما، وتوليد الرؤى، والأحكام الشرعية، والحلول النبوية للحالات، مع مراعاة الأعمار التي يمر بها المجتمع، وتنزيل هذه الحلول على الواقع في ضوء ظروفه وامكاناته وموقعه من مسيرة المجتمع الأول وسيرته، مع الأخذ بعين الاعتبار، أن اعتماد المرحلية والتدرج لا يعني بحال من الأحوال تجزيء المنهج وتقطيعه، بمقدار ما يعيني استصحاب المراحل كلها التي مر فيها المجتمع القدوة، للوصول إلى مرحلة الاكتمال والكمال، والإدراك الكامل لأبعاد حركة النهوض الشاملة ومستلزماتها، من خلال المرحلة والموقع الذي يكون عليه المجتمع اليوم، لتجيء هذه المرحلة في عمرها وموقعها ومكانها مستقبلًا، لبنة في البناء الكامل المأمول[٢٢].

ذلك بأن غياب الرؤية الشاملة للسيرة النبوية، وعدمَ فقه مقاصدِ التعامل مع الحالات المتنوعة، من الواقع، وأسباب التركيز عليها، أدى ببعض المفكرين إلى اختلال في شمولية الرؤية، وضبط النسب، وبروز فرق خارجة، ونتوءات فكرية، لا تتفق مع توازن السيرة النبوية والمنهاج النبوي وشموله ووسطيته واعتداله وقيمه.. أخذت بعض الجزئيات وضخمتها، وحاولت المرابطة من ورائها، وتعميمها على المنهاج كله، فاضطربت الأولويات، واهتزت النسب، وظهرت الثنائيات المتناقضة، والتعسف في التفسير والتأويل المذهبي، لا المنهجي، وأصبحت القواعد والأصول المذهبية، كلامية كانت أو فقهية، هي المعيار لتفسير النص والتحكم بمقاصده، وهو ما لم يعرفه تنزيل الإسلام الأنموذجي في خير القرون [٢٣].

ومجمل القول: إن استحضار البعد المقاصدي في المنهج الجديد لعرض السيرة النبوية والاستمداد منها هو خير وسيلة لفهم السيرة النبوية في كل مراحلها؛ في مكة المكرمة والمدينة المنورة، في السلم والحرب، في الدعوة والتربية والبناء، في العلاقات الإنسانية والاجتماعية والحضارية والدولية، في السياسة الداخلية والخارجية، في سائر وجوه الحياة المتنوعة... والاستمداد منها في كل زمان ومكان بما يعود على المكلفين بالخير والصلاح في الدنيا والفوز والنجاة في الآخرة...

هذا مع مراعاة المنطلقِ الإيماني عمدة وأساسا في عملية التجديد؛ إذ "دون الاستواء النفسي الإيماني لا يتاح لأحد الاستواء على الصواب في الاستنباط والتجديد، إذ النفس المؤمنة المطمئنة هي الباب ومدخل الصدق والمنطلق، ثم هي المخرج؛ مخرج الصدق، وبها يكون الجزم واعتدال الخطو وصناعة الحياة إذا امتد المسار"[٢٤].

أضف إلى ذلك أن المنطلق الإيماني يستلزم العدالة والبعد عن الأهواء والتعصب وإخلاص النية لله تعالى. مع صفاء ذهن ونفاذ بصيرة وحدة ذكاء وقدرة فطرية على النظر والاستدلال.

٦– تعظيم قدر سيدنا رسول الله ﷺ ومحبتُه وصحةُ الاعتقاد فيه والإيمان به:

---

[٢٢] – المنهج النبوي في التغيير، من تقديم: عمر عبيد حسنة، ص١٠-١١.

[٢٣] – نفسه، ص٢٢

[٢٤] – أصول الإفتاء، الراشد، ١٥/٣.

إن صحة الاعتقاد في شأن النبوة الشريف يمكّن الباحثَ في السيرة الطاهرة من فهم وقائعها وتفسير حوادثها على الوجه الصحيح، فيرى الكمالَ البشري في النبي ﷺ يصاحبه العونُ الإلهي والتسديدُ الرباني، ويقدر قيمة الوحي في المواقف المختلفة في مكة المكرمة والمدينة المنورة وفي سائر الأحوال والسياقات المتعددة، كلُّ ذلك لا يضعه المرءُ موضعَه في الفهم والتفسير ما لم يكن صاحبَ اعتقاد جازم بصحة النبوة الشريفة، ومحبةٍ صادقة للجناب العظيم الشريف ﷺ، ولذلك وجدنا المستشرقين الذين لا يعتقدون بنبوة سيدنا محمد ﷺ يتناولون السيرة النبوية من خلال منهجية تعد من أسوأ المناهج التي تناولت السيرة النبوية، فقد حاول هؤلاء من خلاله نسفِ واقعِ النبوة والرسالة والوحي هدمَ أركان الدين بالتشكيك المحموم في التصرفات النبوية، والتصويرِ الخبيث لمجريات الأحداث والوقائع في السيرة الطاهرة وحملها على غير محاملها وإخراجها من سياقاتها بعيدا عن مقاصدها وأبعادها

إن الخلل في فهم النبوة، والضعف في تعظيم شأنه وحبه ﷺ يفسد على المرء نظرتَه واستفادته واستمداده من سيرته وهديه في إصلاح الإنسان وبناء الأمة وإقامة العمران، فصحةُ العقيدةِ وصدق المحبة والتعظيم للنبوة مفتاح هداية ومدد في إدراك المنهجية الراشدة في إقامة الدين ونشر الحق الذي نلمحه في هدايات السيرة العطرة[٢٥].

٧- الاستفادة من أصحاب التخصصات المختلفة في فهم نصوص السيرة العطرة وتحليلها:

وفي هذا يقول الدكتور عماد الدين خليل: "ولا بد، من أجل التحقق برؤية كهذه، من استدعاء المؤرِّخ والمفسر والمحدّث والفقيه والجغرافي وفيلسوف التاريخ والأديب لتوسيع نطاق الفضاء المعرفيّ عن العصر.. هاهنا حيث يصير النصّ القرآني والحديث النبوي الصحيح والممارسة التاريخية لعصر الرسالة التي يقدمها المؤرخ والفقيه، والملامح البيئية التي يقدمها الجغرافي، والخبرة الذاتية والموضوعية التي يقدمها الشاعر أو الأديب، فضلا عن الدلالات المحدَّدة للكلمات والتعابير التي يحددها اللغوي.. هاهنا المصادر الأساسية التي يكمّل بعضها الآخر من أجل تحديد ملامح المشروع الحضاري الذي وعدت به ومهدت له، ووضعت شروطه التأسيسية، ونفّذت بعض حلقاته، «سيرةُ» رسول الله ﷺ"[٢٦].

وهذا منطق سديد وقاعدة مهمة ومنطلق أساس في التعامل مع السيرة الشريفة لتشكيل رؤية كلية شاملة بعيدة من التموضع والتجزيء المخل، فالسيرة حياةٌ والحياة متعددةُ الأبعاد والزوايا والتخصصات، ومن ثم لا يمكن فهمها من زاوية واحدة أو بتخصص واحد.

فالسيرة الطاهرة تلهم الاقتصاديين منهجا اقتصاديا راشدا، وتمنح العسكريين خِططا وفنونا عسكرية، كما أنها مجال لكافة المتخصصين من السياسيين والمربين والتجار والقضاة والحكام وغيرهم، بحيث يمكن تفسيرُ السيرة النبوية من هذه الزوايا التي توسع نطاقها في الحياة[٢٧].

---

[٢٥] – "معالم المنهج المنشود للإصلاح والبناء الحضاري من خلال السيرة النبوية"، أحمد زايد، ٤١٢/١ وما بعدها.

[٢٦] – السيرة النبوية مشروعا حضاريا، عماد الدين خليل، ص٣-٤.

[٢٧] – معالم المنهج المنشود للإصلاح والبناء الحضاري من خلال السيرة النبوية، أحمد زايد، ٤١٤/١..

المبحث الثاني

أبعاد المنهج الجديد للاستمداد من السيرة النبوية الخالدة

تعتبر السيرة النبوية العطرة تجسيدا حيا لقيم الإسلام والفضيلة، ومصدرا مهما للفكر الإسلامي، وعاملا رئيسا في صياغة أخلاق المجتمع وقيمه وتصوراته، وتفسيرا تطبيقيا للقرآن الكريم، وأنموذجا بارزا للحياة الإسلامية، ومثلا يحتذى في تحرير الإنسان من العبودية لغير الله تعالى، ومفتاحا لفهم الشريعة الإسلامية عقيدة وسياسة وتربية وجهادا ودعوة ودولة وأمة وفكرا وثقافة...

والسيرة النبوية ليست مجرد أحداث غابرة أو وقائع مضت، وإنما هي تسجيل دقيق لحياة سيدنا رسول الله ﷺ الذي اصطفاه الله من بريته وجعله حجة على الناس جميعا إلى يوم القيامة، فضلا عما تزخر به من تطبيقات حية وأمثلة واقعية لقضايا تتعلق برعاية مقاصد الشريعة ومطالبها والحكم التشريعية.

وإن أهم ما ميز السيرة النبوية أنها تحكمها مقاييس غير بشرية، فالوحي مصدرها، والله الذي يوحي بها، فهي خاضعة لمنطق الوحي الإلهي السماوي.

ومن ثم فإن للمنهج الجديد للاستمداد من السيرة الخالدة مقاصد عدة، وغاياتٌ سامية، ومحاسنُ جليلة أهمها:

١- الوقوف في السيرة النبوية عند مواطن الاقتداء والائتساء:

إن من مقاصد تجديد عرض السيرة الطاهرة إبرازَ جوانبِ الاقتداء فيها؛ ذلك بأن في السيرة النبوية نماذجُ حية للقادة العظماء، والزهاد، والتجار الناجحين المخلصين الأتقياء، وفي السيرة أفضل النماذج للمربِّين والمعلمين والدعاة والقضاة والسياسيين والحكماء..

لقد اكتفى بعض المسلمين بقراءة سيرة رسول الله ﷺ العطرة في المناسبات والاحتفالات والمواسم؛ دون الائتساء بها، والاستضاءة بهديها في عتمات الحياة....

في حين اكتفى آخرون بالعكوف على جوانب جزئية منها، دون الاهتمام بكلياتها وقيمها الحية، وتنزيل هداياتها موقعها الصحيح في ترشيد المفاهيم والقيم والأنظمة والممارسات والغايات.

وكل هذا راجع إما لجهلهم بأن الاتباع يقتضي التأسي والاقتداء، وإما لعدم إدراكهم مواضع الاقتداء من سيرته ﷺ.

إن تحديد درس السيرة الطاهرة في عصرنا هذا "ضرورة كضرورة المنقذ بالنسبة للغريق الموشك على الهلاك، يملي تلك الضرورة الواقع المتردي البئيس الذي تعيشه الأمة العربية والإسلامية والإنسانية جمعاء، تمد أيديها لمن ينتشلها من الخطوب والأزمات، ولا من منقذ.

ما أشبه حياتنا في بعض جوانبها بحياة ما قبل البعثة: القوي يأكل الضعيف ويستعبده، المرأة تشتغل في سوق النخاسة المعاصرة... والتعامل بالربا فاش في معاملات الأفراد والبنوك والشركات وبين الدول...

فما أحوجنا إلى أن نفيء إلى ظلال الإسلام والاحتماء بشريعة ربنا، وتطبيقها في حياتنا، والامتثال لتوجيهات رسولنا ﷺ، إن أردنا العز والظفر والكرامة"[٢٨].

إن المنهج الجديد للاستمداد من السيرة الطاهرة يهدف إلى أن "التعرف على الميلاد الأول للإنسان والمجتمع والحضارة يبقى هو المنطلق، وهو الخطوة الأولى على الطريق الطويل: كيف نُشِّئ لرسالة النبوة وكيف نما إنسانًا ومجتمعًا؟ ما هو المنهج، ما هو دليل الحياة الذي خضع له؟ ذلك بأن استيعاب النشأةِ الأولى هو السبيل لمعرفة الحياة واكتشاف موطن الخلل فيها ورسم طريق النهوض من جديد إلى أن ينشئ الله النشأة الآخرة.

فالسيرة هي المحضن الذي تخلقت فيه أجنة المجتمع ونمت وأثمرت وقدمت نماذج حضارية إنسانية لا يستطيع الزمن أن يتجاوزها، لذلك نقول: إن أية محاولة لاسترداد الشخصية المسلمة التي تثير الاقتداء وتغري بالاتباع وتدعو الناس بأنموذج لافت وإقامة المجتمع المسلم بكل مواصفاته وقيمه، وإخراج الأمة من جديد حتى يتحقق فيها الحس بالمسؤولية عن الناس وتحقيق الشهادة عليهم والاضطلاع بمسؤولية الرقابة العامة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واسترداد الفاعلية التي تكاد تنطفئ. سبيلُها العودة إلى قيم الوحي في الكتاب والسنة وتجسيدها وتنزيلها على واقع الناس في السيرة الطاهرة، في ضوء هداياته. ذلك بأن التعامل مع السيرة الشريفة يتطلب العودة المبصرة الفقهية القادرة على تحديد مواطن الاقتداء من خلال الاستطاعات المتوفرة والظروف المحيطة.

ذلك والعودة بحماسة زائدة قد تنتهي إلى حماقات، فالاغتراف بلا فقه ولا بصيرة ولا امتلاكٍ للقدرة على تعددية الرؤية وتحديد مواطن الاقتداء في كل مرحلة وكل حالة إنسانية، يتحول إلى نوع من العبث والتنفير من قيم الوحي، والمساهمة السلبية في إبعاد الناس عن قيم الوحي، وتأكيد سَيْرِهم في طريق الضلال والضياع.

فالسيرة حاضنة الأمة الأولى، حاضنة الإنسان في أولى مراحل إسلامه، حاضنة المجتمع في أولى مراحل تشكله، حاضنة الأمة في الخطوات الأولى لمراحل إخراجها كخير أمة أخرجت للناس: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (آل عمران:١١٠)[٢٩].

---

[٢٨] – "السيرة النبوية فوائدها وأشهر مصادرها"، عبد العزيز فارح، مجلة السنة النبوية، العدد الثالث، أبريل ٢٠٠٣، ص٩١-٩٢.

[٢٩] – تعامل الرسول ﷺ مع الاطفال تربويا، ص١١.

فبالقراءة الواعية للسيرة العطرة تبرزُ جوانبُ الاقتداء فيها، وذلك باعتبارها حركةَ تجسيدٍ أنموذجي عملي لحقائق القرآن الكريم والرسالة السماوية في واقع الحياة بصورة شاملة وكاملة ودقيقة، توفر شروطَ التأسي والاقتداء المطلوب والتسخير على الوجه الأكمل لبناء الإنسان والمجتمع والأمة والعمران.

إن السيرة النبوية الخالدة بمنهاجها الذي تشكلت من خلاله أمةُ الرسالة الخاتمة فجعل منها أمةَ الفكرة والمعرفةِ ظل على الدوام يمثل مناط الاعتصام وحبل الأمة المتين الذي تلوذ به، وتنطلق منه في كل المراحل التي مرت بها، تنطلق منه لتحقق عوامل النهوض والارتقاء الحضاري، وتحتمي به في فترات السقوط والتخلف والتراجع والانكسار؛ لتعاود الانطلاقَ من جديد في دورة حضارية.

٢- إحياء الوعي السنني:

تميزت السيرة العطرة بعطائها المتجدد على مر الأزمنة والعصور؛ فهي تفيض بالخير والبركة على الأمة المسلمة، وتشرق بشمسها على ثغر هذا الكون الباسم، وتنشر عبيرها في الآفاق، وهي دستور الحياة، والأنموذج الرفيع للسلوك الذي ينبغي أن تسير عليه أمة الإسلام، والصورة المثلى للقيم الفاضلة التي تنفع الأمة وتكشف عنها الغمة...

هذا علاوة على أن السيرة النبوية مفتاحٌ للتاريخ الإسلامي، فهي أجدر العلوم الإسلامية بالدراسة والبحث والتأليف لتقديمها في صورة ناصعة البياض؛ باعتبارها التفسير التطبيقي للقرآن الكريم، والتجسيد الحي للإسلام وأحكامه وتعاليمه؛ وقد استوعبت جميع أصول الحالات التي يحتاج إليها البشر في حياتهم وبعد مماتهم؛ ومرت حياة رسول اللهﷺ، بأحوال مختلفة، قبل أن يوحى إليه، ثم بعد البعثة في المرحلة المكية حيث حالة الاستضعاف والاضطهاد والصبر وتحمل الأذى وقلة الناصر...، لكن في هذه الفترة تم تربية ذلك الجيل القرآني على تصحيح العقيدة والمحبة وترسيخ الإيمان في القلوب، والإعداد النفسي لاقتحام العقبات الكأداء وتحمل مشاق الطريق ومسؤوليات المستقبل ومواجهة المحنة... حتى تم تجاوز ذلك بالهجرة إلى المدينة المنورة؛ حيث تم بناء دولة الإسلام ومجتمعه لنشر الدعوة وخدمة الأمة وإنقاذ الناس من ربق الجاهلية... وبعدها تم تشريع القتال في سبيل الله ومقارعة الأعداء من كفار قريش وقبائل العرب في الخارج ومواجهة المنافقين واليهود في الداخل، ثم اكتمال التشريعات وإتمام النعمة على المسلمين، والمسارعة في تنفيذها بكل إخلاص وفي أعلى وأكمل مستويات التنفيذ والأداء بإحسان وإتقان، ثم الوداع والتحاق الحبيب المصطفى ﷺ بالرفيق الأعلى.

وتأسيسا على ما سلف فإن من أهم قصود التجديد في السيرة النبوية: تقديم دراساتٍ اجتماعية من خلال السيرة الخالدة، تقوم على دراسة السنن الاجتماعية التي تحكم حياة البشر، وتؤثر في مجريات الحياة، وتحفز حركة التاريخ. وليس هذا المنحى بجديد على المسلمين، فإن جل آي القرآن الكريم قدمت إشارات قوية إلى تلك السنن.

ولا شك أننا بحاجة إلى من يحاول إعادة صياغة أحداث السيرة النبوية في ضوء الهداية القرآنية، وتقديم وقائعها وتطبيقاتها في سياقها السنني، وبناء علم اجتماعي كلي يفيد حركة الدعوة ومنهج الإصلاح، ويُعنى بعمق النظرة، والشمول في الرؤية والوضوح في التصور الإسلامي لحركات المجتمعات والتاريخ معا، وإدراك وظيفة الفرد والجماعة، والربط بين المقدمات والنتائج.

إن السيرة النبوية العطرة بحاجة إلى دراسة سننية اجتماعية تجديدية تقف مع سنن الله الكونية والاجتماعية، وتستجلي الرهان من سيرة خير ولد عدنان ﷺ تقوم على التذكير بوظيفة الإنسان في نشر الخير، ومسؤوليته في مدافعة الشر، وتربط الجهد بالنتيجة إن الله[٣٠].

يقول الدكتور أكرم ضياء العمري: "ويكفي أن القارئ لدراسة حديثة في السيرة لا يكاد يحس فرقا مهما بينها وبين كتاب سيرة ابن هشام أو زاد المعاد على تباين أسلوب ومنهج الكتابين، رغم التطور الهائل في الدراسات الاجتماعية في العصر الحديث. وما تقدمه العلوم الحديثة من معطيات ضخمة تخدم الدراسات الاجتماعية، وللأسف فإننا نعيش على حافة العلم الحديث، ولم نجرؤ على اقتحامه لنفيد من معطياته الثرية المتنوعة، مع أن ما ورثناه من أسلافنا في حقل التأليف التاريخي أعظم بكثير مما ورثه المؤرخون الغربيون عن أسلافهم.

وإذا كان النقد التاريخي يبدو ضعيفا في دراساتنا، فإن التحليل للروايات والتعامل معها يبدو أكثر قصورا؛ بسبب النظرة التجزيئية للقضايا، والسطحية في التعامل مع الروايات، وعدم وضوح التصور الإسلامي لحركة التاريخ ودور الفرد والجماعة والعلاقات الجدلية بين القدر والحرية وقانون السببية والربط بين المقدمات والنتائج، فضلا على أن الكتب التاريخية القديمة لا تمدنا بمنحى واضح في التحليل والتصور الكلي بسبب اعتمادها على سرد الروايات فقط؛ إذ قلما يشير المؤرخ الإسلامي القديم للسنن والنواميس والقوانين الاجتماعية التي تحكم حركة التاريخ، رغم أن القرآن الكريم لفت نظر المسلمين إلى ذلك كله بوضوح. بل إن أحدا من مؤرخي الإسلام لم يحاول إعادة صياغة النظرة القرآنية للتاريخ وتقديم الوقائع والتطبيقات والشواهد التاريخية عليها بشكل نظريات كلية حتى وقت متأخر عندما كتب ابن خلدون مقدمته، رغم أن المفكرين المسلمين تعاملوا مع الفلسفة والمنطق منذ القرون الأولى وأفادوا منها في بناء علوم اللغة وأصول الفقه بوضوح، وتصرفوا في ذلك بعقليتهم اليقظة التي تنفي ما يناقض المعتقد الإيماني والتصور الإسلامي، ونجحوا في ذلك إلى حد كبير، وكان نجاحهم في تخطي التجربة يرتبط بمدى وضوح العقيدة وصفائها في عقولهم"[٣١].

لقد أشار الدكتور أكرم العمري إلى ملاحظة مهمة جدا.. فالرؤية التي تنقصنا اليوم في علاقتنا مع السيرة النبوية هي الرؤية السننية التي تجعل علاقتَنا بالسيرة علاقةً معرفية واقتدائية وروحية وسلوكيةً وتسخيرية أكثر أصالة وعمقا وفعالية، للاستفادة من السيرة النبوية والاستمداد منها على أكمل وجه وأحسن صورة.

إذ إن مقصد الحركة الرسالية عبر التاريخ هو اكتشاف السنن الإلهية وتسخيرها والعمل بمقتضياتها على أحسن وجه وأكمل صورة لبناء الفرد الصالح والمجتمع السليم والأمة الوسط.

---

[٣٠] – التجديد في عرض السيرة النبوية، ص٦٤.

[٣١] – السيرة النبوية الصحيحة، ص١٤-١٥.

والرؤية السننية النسقية الشمولية المتكاملة تعيد للسيرة النبوية أهميتها في الحياة والرقي بالفرد والمجتمع والأمة والدولة، لكون هذه السيرةِ الخالدةِ الساحةَ الفعليةَ التي تمثلت فيها حقائق الوحي في أبعادها التربوية والتعليمية والثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعمرانية.

ولقد أدرك من سبقنا بالإيمان المكانة السامقة للسيرة النبوية في الحياة، فاستفادوا من دروسها وعبرها وسننها، فلازموها تعليما وتعلما، وتطبيقا وعملا، ومنهاجا في الحياة.

وإن الأمة المحمدية اليوم في أمس الحاجة إلى دراسة السيرة النبوية والاعتزاز بها، والأخذ بما فيها من سنن الله المطردة؛ لترتفع إلى مكان السيادة والقيادة، وتتحمَّل مسؤوليةَ تبليغِ رسالة الإسلام وأخلاقه وتعاليمه وقيمه إلى البشرية جمعاء، ليعود كل الناس إلى الصِّراط المستقيم، وتكون خير أمَّة أخرجت للناس في تمثل سيرة نبيها ﷺ وسنن الله فيها.

هذه السنن الإلهية التي نتوقف عليها أثناء دراستنا للسيرة ثابتةٌ ومطردة يمكن أن تتكرر ظروفُها في كل زمان ومكان، حين تجرد من قيود الزمان والمكان لتجيب عن أسئلة العصر ومعضلاته ؛ إذ من خلالها نقدم العلاج الشامل لمجموعة من الأدواء التي أصابت الأمة المسلمة، بل من خلال السير على المنهاج المحمدي في التربية والدعوة والجهاد تحقق الأمة عزتها وتعود لها مكانتها، ويتحقق وعد الله عز وجل وموعود نبيه المصطفى ﷺ بانتشار نور الإسلام في العالمين.

وإن الحاجة تشتد اليوم لدراسة السيرة النبوية وفق هذه الرؤية السننية الشمولية المتكاملة المستخلصة من القرآن الكريم والسنة النبوية، هذه الرؤية التي جعلها الله سبحانه وتعالى بين يدي البشر لتفسير حركة التاريخ والمجتمع وبناء الإنسان والعمران، هذه الرؤية التي لخصها التطبيق العملي المتمثل في السيرة النبوية، فتكامل المشروعُ النظري مع التطبيق العملي في أبعاده الفردية والاجتماعية معا.

ومن ثم "فإن قصور الفهم السنني لدى بعض المتعاملين مع السيرة النبوية يجعلهم يتعاملون مع معطياتها تعاملا تجزيئيا حرفيا آليا، يغفل عن السياقات المقاصدية والفكرية والنفسية والاجتماعية والسياسية والتاريخية لهذه المعطيات، ويسقطونها من حساباتهم، فيأتي فهمهم للسيرة النبوية واقتدائيتهم بها، واستثماريتهم لها، متناقضا لثوابت مرجعية الدعوة أو الرسالة، أو مناقضا لطبيعة مرجعية الواقع المعيش وحاجاته وتحدياته، أو مناقضا لثوابت مرجعية الواقع السنني الكوني العام الناظم لحركة الاستخلاف البشري في الأرض"[٣٢].

ومن منطلق الرؤية التسخيرية والصيرورة الحضارية لحركة الاستخلاف البشري في الأرض المنسجمة مع فطرة الوجود الكوني والإنساني تركيبا ووظيفة يجب أن تدرس وتقرأ السيرة النبوية العطرة وتحلل أحداثها ووقائعها.

فالهدف الأساس لتجديد مناظير دراسة السيرة النبوية هو البحث عن النظرية الكلية التكاملية النسقية الهدائية القرآنية لتفسير حركة الوجود والحياة، وكيف تجلت هذه النظرية الكلية في السيرة النبوية باعتبارها حقلا خصبا وساحة فعلية

[٣٢] –مدخل إلى فقه منهاج الإصلاح في السيرة النبوية، الطيب برغوث، ٣٨٨/١.

تجسدت فيها حقائق هذه النظرية السننية المتكاملة التي من شأنها أن تحول العلاقة السردية الحرفية الجزئية لتعاملنا مع السيرة إلى علاقة مقاصدية سننية منضبطة مفيدة ونافعة في العاجل والآجل.

٣- إبراز الوجوه العمرانية والمعاني القِيمية الكلية في السيرة العطرة:

إنه على الرغم من العطاء السخي للسيرة العطرة فقد ظلّت هنالك حلقة لم تنل حظَّها من البحث والدرس والاستقصاء والتحليل، بالمقارنة مع الحلقات الأخرى؛ تلك هي الحلقة الحضارية، أو بعبارة أكثرُ دقة، محاولةُ متابعة البعد الحضاري للسيرة النبوية، وتقديم تصوّر متكامل عن معطياته الأساسية.

لقد بشر عصر الرسالة بمشروع حضاري، وتمكّن من تنفيذ العديد من حلقاته، ووضع شبكة من الشروط التأسيسية التي مكّنت الأمة الناشئة من بناء حضارتها المتميزة بعد عقود معدودة من الزمن.

ولعل المدوَّنات الأولى لأخباريّي ومؤرخي السيرة كمغازي الواقدي، وسيرة ابن إسحاق، وطبقات ابن سعد، وأنساب البلاذري، وتاريخ الطبري...الخ، بإعطائها مساحة واسعة للمغازي -وأحيانا للرجال أو الشمائل- ضيّقَت الخناق على البعد العمراني أو الحضاري لعصر الرسالة الذي تمكن بعد كفاح مرير من إقامة دولة الإسلام، ووضع التأسيسات الأولى لحضارته المتميزة.

عشرات السنين ومئاتها، ونحن نتحدث عن هذا العصر من الداخل، وبرؤية تجزيئية تتمرّكز عند الغزوات، والشمائل، والمفردات الفقهية. ولقد آن الأوان لاعتماد رؤية شمولية كلية حضارية لاستشراف الملامح الأساسية للعصر، والإنجازات الكبرى لرسول الله ﷺ وصحابته الكرام رضي الله عنهم[٣٣].

وعندما جاءت السنة التاسعة للهجرة، ونزلت آيات (أو إعلان) براءة في صدر سورة التوبة، لتصفية الوجود الوثَني في جزيرة العرب، كان رسول الله ﷺ قد حقّق، وصحابته الكرام رضي الله عنهم على مستوى الفعل التاريخي، المنجزات التالية التي ينطوي كل منها على بُعد حضاري مؤكد:

أولا: التوحيد في مواجهة الشرك والتعدد.

ثانيا: الوحدة في مواجهة التجزّؤ.

ثالثا: الدولة في مواجهة القبيلة.

رابعا: التشريع في مواجهة العرف.

خامسا: المؤسسة في مواجهة التقاليد.

سادسا: الأمة في مواجهة العشيرة.

[٣٣] - السيرة النبوية مشروعا حضاري، عماد الدين خليل، ص٣-٤.

سابعا: الإصلاح والإعمار في مواجهة التخريب والإفساد.

ثامنا: المنهج في مواجهة الفوضى والخرافة والظن والهوى.

تاسعا: المعرفة في مواجهة الجهل والأمية.

عاشرا: الإنسان المسلم الجديد الملتزم بمنظومة القيم الخُلقية والسلوكية المتجذّرة في العقيدة، في مواجهة الجاهليّ المتمرس على الفوضى والتسيّب وتجاوز الضوابط وكراهية النظام.

وكانت الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة قد أرست جملة من القيم المنهجية وآليات العمل التي مهّدت للمتغيرات العشرة الآنفة الذكر، ودعمتْها، ووضعت -إلى جانبها- شبكة من الشروط هيأت المناخ الملائم للفعل الحضاري، ومن بين تلك القيم والآليات:

١. المعرفة هي حجر الزاوية.

٢. النزوع إلى الأمام.

٣. التحذير من هدر الطاقة.

٤. مبدأ الاستخلاف.

٥. مبدأ التسخير.

٦. التحفيز على العمل والإبداع.

٧. مجابهة التخريب والإفساد.

٨. التوازن بين الأضداد والثنائيات، وتوحدها.

٩. التناغم والوفاق مع الطبيعة والعالم والكون.

١٠. تحرير الإنسان والجماعات والشعوب على المستويات كافة.

لقد جاء الإسلام لكي يتحرك وفق دوائر ثلاث: تبدأ بالإنسان وتمر بالدولة وتنتهي إلى الحضارة التي سيقدر لها أن تَنْداح لكي تغطي مساحات واسعة من العالم القديم.

لقد كان هدف الجهد النبوي في عصر الرسالة هو التأسيس لعمران إنساني إيماني يستمد منهجه ومفرداته من هدي الله سبحانه، ويوم على لقاء الوحي بالوجود، لمجابهة حضارات الكفر والضلال، وإزاحتها، والتحقق بالبديل الحضاري الملائم للإنسان ووظيفته التعبدية والعمرانية.. البديل المتوازن في مواجهة حضارات الميل والانحراف: ﴿وَاللهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيمًا﴾ (النساء: ٢٧).

ويبقى عصر الرسالة منجما سخيا للعطاء وفق هذا المنهج أو ذاك فيما لم يشهده عصر من العصور. وما ذاك إلا لما حققه هذا العصر من تغيير جذري محليا وإقليميا وعالميا، وعلى كل المستويات، ولما انطوى عليه من قيم وخبرات تملك القدرة على الفاعلية والحضور في كل زمان ومكان[٣٤].

إن إظهار وظيفة السيرة النبوية الخالدة في بناء العمران الإنساني، وما تجسده من جوانب إنسانية وخُلقية وقيمية وحضارية وسيلةٌ هامة من وسائل دحض الشبهات التي تثار ضدَّ رسالة خير الأنام ﷺ، خاصةً أن تشويه الإسلام في الغرب راجع إلى المغالطات التي يبثها أعداء الدين في أذهان الشعوب الغربية من خلال وسائل الإعلام، مما يساهم في تكوين انطباع سيئ عن الإسلام لدى الرأي العام العالمي.

إن السيرة الطاهرة هي تربة الإنبات ومناخ الإنبات ودليل الإنبات ورعاية النبات ودليلُ الحياة وتزكية سلوك الإنسان والسبيلُ إلى بناء إنسان النبوة.

وإذا كانت النبوة بشكل عام، في رسالتها التاريخية، رافقت خطوات الإنسان الأول، وقدمت له دليل الحياة، وتعاملت معه في كل أطواره وأعماره وحالاته والتي يمكن أن تشكل رؤية مأمونة ودليلَ عملٍ معصومٍ مستمدٍ ممن خلق الإنسان، العالم بمكوناته، بماضيه وحاضره ومستقبله وما يعرض له من تداعيات، تشكل لنا سيرة النبوة دليلًا خالدًا لكل الحالات المشابهة التي تعرض للإنسان والحياة بشكل عام على مدار التاريخ الإنساني، فإن سيرة النبوة الخاتمة ومسيرتها، حيث انتهت إليها أصول الرسالات السماوية جميعًا ومسيرة الأنبياء، تشكل من بعض الوجوه قاموسًا أمينًا مهيمنًا لتعاليم النبوة وتعاطيها التاريخي مع الحياة والأحياء، وأن المؤمن بها هو وريث النبوة منذ النشأة الأولى وحتى ينشئ الله النشأة الآخرة؛ قدمت نماذج للاقتداء لبناء الكمال الإنساني، فهي الدليل اليقيني للتعامل مع الإنسان، بكل حالاته وأطواره، فالرسالة الخاتمة جمعت بين معرفة الوحي والتجربة التاريخية" [٣٥].

وبهذا فإن من أبعاد المنهج الجديد للاستمداد من السيرة العطرة إحياءَ المعاني الحضارية الكبرى والكليات القيمية المثلى وإبراز هداياتها في المعاش والمعاد؛ وذلك من خلال الكشف عن الجوانب التنموية والحياتية والسلوكية فيها التي قدمت رؤية كلية للكون والإنسان والعمران أصلا وماهية وغائية.

وإن السيرة النبوية هي ديوان الحضارة الإسلامية الراقية في أبهى العصور وأزهاها، حيث يتجلى أثر الإسلام في حياة البشرية حين هدم جاهليتها وبنى عمرانها العالمي الإنساني، وغير من أفكارها وعقائدها ونُظمها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وأقام بنيان العمران على التوحيد والحق، وشيد دعائمها على العدل والقسط، ورعى حقوق الإنسان على أكمل ما يتاح لبشر أن يصل إليه.

---

[٣٤] – السيرة النبوية مشروعا حضاري، عماد الدين خليل، ص٥.

[٣٥] – تعامل الرسول ﷺ مع الاطفال تربويا، من تقديم: عمر حسنة، ص١٢.

ولا يخفى على مطلع أهمية إبراز الجانب الحضاري في سيرة المصطفى ﷺ ولاسيما في بلاد غير المسلمين، حيث يقدم الحلول الناجعة لمشكلاتهم المعقدة.

وعليه؛ فإن تجلية جوانبِ الرحمةِ بالمخالف، والتسامح مع الأعداء، والعيش الآمن مع الملل الأخرى، وتحقيق العدالة الاجتماعية والسلم الأهلي للناس بمختلف أعراقهم ومعتقداتهم وأصولهم، والمساواة في الحقوق والواجبات، والرفق بالصغير والجاهل والعامي، والوفاء بالعهود والمواثيق الدولية، ومراعاة المشترك الإنساني بين الناس في السيرة العطرة من شأنه أن يؤلف القلوب على الإسلام ويكشف سماحته للعالم بأسره.

وفي إيضاح جوانبِ تكريمِ الإسلام للمرأة أما وبنتا وزوجا وأختا في النسب وأختا في الدين وأختا في الإنسانية ما يدفع كثيرا من الشبهات التي تثار حول المرأة وحقوقها في الإسلام.

هذا فضلا عن تتبع مدونات السيرة الطاهرة لاستخراج الوجه الحضاري في الحرف والصناعات والفنون والعمارة والبيئة والبنيات الاجتماعية وحقوق الحيوان؛ فإن كلَّ ذلك يقوم بدور السفارة عن الإسلام ونبيه في دعوة المخالفين في أصل الدين، وعلى مستوى ثان نُظهر للآخر مواضعَ التسامحِ والرحمة والإخاء الإنساني والحب والتعاون في السيرة النبوية، فضلا عن جوانبِ الرحمة في حياة النبي ﷺ ليس بالإنسان فقط بل بالحيوان أيضا، كما أنه ﷺ جعل حرمة النفس البشرية تفوق حرمة بيت الله الحرام[٣٦].

٤- التفاعل الإيجابي مع الواقع:

إن الواقع الذي عاش فيه صاحب السيرة الغراء كان مثالا للجاهلية في أحلك حقبها وأردأ تجلياتها، وقد رأينا في سيرته الطاهرة ما تعرض له ﷺ من الأحداث الجسام فيتعامل معها بوعي بالغ وبفقه متبصر بالعواقب، فقد رأيناه يكف عن قتل المنافقين لحكمة دعوية بالغة، ووجدناه يترك هدم الكعبة ويترك إقامتها على قواعد إبراهيم عليه السلام الأولى مراعاة لحالة القوم آنذاك، وهو يُمضي صلحَ الحديبيةِ بشروطه التي رأى فيها بعض المسلمين إجحافا؛ لما يتوخاه من المصلحة البالغة، ويعطي مرة أخرى بعض المؤلفة قلوبهم العطايا العظيمة من الغنائم، ويترك بعض خاصته من الأنصار، ويداري أقواما لما يرجوه من دفع غوائلهم، ويراعي في العهد المكي حالةَ القلةِ والاستضعاف، ويجتهد في العهد المدني لتحقيق واقع التمكين والاستخلاف، وفي كل ذلك دليل من سيرته، وبرهان عملي من طريقته على أهمية معرفة الواقع في الخَلق والواجب في الشرع في وقت واحد.

وهذا القصد الحيوي له أهمية كبيرة حيث ينشئ في دارسها ومتلقيها حالةً من اليقظة تقتضي فهمَ الأشياءِ ومدلولاتها وتجميع عناصرها وربطها في محاولة لإدراك الكل، واستيعاب الأحداث، وحسنَ التنبؤ لما يتوقع، وإدراكَ مآلات الأمور والتفاعل معها بشكل صحيح، وهذا الوعي يستدعي بحثا في العوامل المؤثرة في المجتمعات، والقِوى المهيمنة على الدول،

[٣٦] – التجديد في عرض السيرة النبوية، ص٦٧-٦٨.

والأفكار الموجهة من الأعداء، والمكائد المرصودة لهذه الأمة، والسبل المشروعة لاستبانة سبيل المجرمين، وحماية الأمة من كيد المبطلين، وكما أن العلم بالخير سبب إلى فعله، فإن العلم بالشر سبب إلى منعه[٣٧].

فمن لا يعرف الواقع في الخلق والواجب في الحق لم يعرف أحكام الله تعالى في عباده وإذا لم يعرف ذلك كان قوله وعمله بجهل، ومن عبد الله بغير علم كان ما يُفسدُ أكثرَ مما يصلح[٣٨].

٥- تنقية نصوص السيرة العطرة وبناء مشروع السيرة الكاملة:

إن القراءة الجديد لنصوص السيرة الطاهرة تهدف إلى تنقيتها مما علِق بها من روايات لا أصل لها، ومن فهوم تجزيئية قاصرة لموضوعاتها.. إذ مقصَد المقاصد الذي تنطلق منه دعوة التجديد في درس السيرة الشريفة أن تعاد كتابتها بمدونة يومية للأعمال المحمدية، تُظهر سيدنا محمدا ﷺ العابد الزاهد، والداعية المجاهد، والإمام العادل، والقائد المحنكَ، والقاضي الذي يفصل في الخصومات بعلم واقتدار، والمربي الرحيم، والزوجَ الصالح، والأب الحنون، والصديق الوفي، والصادق الأمين، والنبي الرؤوف الرحيم بخلق الله جميعا...

وهو مشروع عظيم رائد، جدير بأن ترصد له إمكانات كثيرة مادية ومعنوية، وهو عمل موسوعي يستفرغ ما في كتب الحديث والتفسير والسير والتاريخ مما له تعلق بأحداث السيرة اليومية، ويستنطق كتب المغازي والشمائل والسير، ويستنشد كتب الشعر والأدب بكل ما يتعلق بتلك الحقبة الزمنية المباركة، وينظر في كل دراسة نوعية في السيرة النبوية، ويراجع كتب أسباب نزول القرآن الكريم وأسباب ورود الحديث الشريف، ويؤلف بين تلك الأحداث والوقائع وبين سياقاتها وملابساتها وسباقاتها ولحاقاتها وغاياتها وأحوالها، ويرتب ذلك كله بما يملأ الفجوات الزمنية التي تركتها كتب المغازي لعدم حاجة إلى إيرادها —وفق منهج مؤلفيها- أو لنقص معلومة لم تتيسر في وقتها[٣٩].

ويكون من ثمرات هذا العرض الجديد أن تَظهر فضائلُ النبي ﷺ وشمائله وقيمه وأخلاقه وسمته ومنهاجه في الحياة، وهديه في عبادة الله تعالى، وأنموذجَهُ المشرق في إخراج الناس من الظلمات إلى النور.

فهو عرض عقدي تزكوي دعوي أصولي فقهي وثقافي وواقعي وأسري وعمراني حضاري اجتماعي للسيرة النبوية العطرة.

وهو عرض يكشف عن العطاء اللامحدود للسيرة الطاهرة، ويُبرز مركزها في نهضة الأمة وتمكنَها من اقتحام العقبات الحضارية المعاصرة واسترجاع وظيفتها في الشهادة على الأمم، ويحيي فعاليتها في إقامة العمران الإنساني على سائر الصعد، ويسهم في الوعي المنهاجي بالحركة النبوية، ويمكننا من الوقوف على المنظومات السلوكية والمعرفية والمنهاجية والقيمية التي صارت وفقها التصرفات النبوية لتحقيق الغايتين: التعبدية والعمرانية.

---

[٣٧] – معالم في أصول الدعوة، ٧٧.

[٣٨] – نفسه، ص٧٢.

[٣٩] – التجديد في عرض السيرة النبوية، ص٨٠.

٦- الكشف عن الجوانب الائتمانية في السيرة الطاهرة:

إن من مقاصد تجديد عرض السيرة العطرة إبراز النسق الائتماني فيها؛ هذه الائتمانية التي تتجلى في الأخلاق العملية التي تهدف إلى بناء "الإنسان الكوثر" الذي يكثر نفعه وخيره وعطاؤه، وتتشكل روحه وقلبه؛ وذلك بتزكيته وإصلاح قلبه وتقويم سلوكه الكلي، وبناء عقله الجماعي، وإحياء وعيه برسالته الإنسانية على نور هدايات الوحي، حتى يستكمل إنسانيتَه ويخرج من دائرة الإنسان الأبتر إلى رحاب الإنسان الكوثر...

هذه الأخلاق العملية تربط بين تزكية الفرد لنفسه ونهوضه بأمانة الاستخلاف الإنساني وبناء العمران البشري..

وعليه؛ فالوقوف على الجوانب الائتمانية في السيرة العطرة والتحلي بها والعمل على نورها، تسهم بشكل كبير في النهضة الإنسانية وإرجاع الإنسان إلى أصله وروحه وفطرته وأنموذجه المشرق، وإصلاحه في مظهره ومخبره وسلوكه ودوافعه ووظيفته في المجتمع والحياة... ليكون أهلا للشهادة على الناس؛ ذلك بأن الشهود الحضاري لا يتحقق إلا بتحقيق صفة العبودية لله تعالى والتفوقِ الأخلاقي الحي، وتحمل المسؤولية الرسالية والنهوض بأمانة الاستخلاف في الأرض.

والفقه الائتماني حسب الفيلسوف والمفكر المغربي طه عبد الرحمن يقوم على ثلاثة مبادئ:

مبدأ الشهادة: وهو مبدأ يجعل الإنسان يستعيد فطرته، مُحصلا حقيقة هويته ومعنى وجوده.

مبدأ الأمانة: وهو ما يجعل الإنسان يتجرد من روح التملك متحملا كافة مسؤولياته التي يوجبها كمال عقله.

مبدأ التزكية: وهو خيار يجعل الإنسان يجاهد نفسه للتخلق بالقيم الخلقية والمعاني الروحية المُنْزَلة، وبهذا المبدأ تتحد فاعلية الإنسان السلوكية[٤٠].

وتأسيسا عليه فإن القراءة الجديدة للسيرة العطرة تروم الكشف عن المبادئ الثلاثة للائتمانية من خلال المنهاج النبوي، ومن تضمنه من حقائق حول الثنائية التي لا تقبل الانفصام: لا إنسان بلا أخلاق، ولا أخلاق بغير دين. "لأن الأخلاق ليست كمالاتٍ بمعنى زيادات لا ضرر على الهوية الإنسانية في تركها، وإنما هي ضروراتٌ لا تقوم الهويةُ بدونها، بحيث إذا فُقدت هذه الضرورات فقدت الهوية، وإذا وُجدت وُجدت الثانية، بدليل أن الإنسان لو أتى ضدَّها – أي ساءت أخلاقه- لعُدَّ لا في الأنام، وإنما في الأنعام"[٤١].

كما تروم الكشف عن قيم الوحي المتجلية في السيرة السنة والسيرة المنهاج الجامعة بين الوحي وبيانه وأثره، متفاعلا مع الإنسان بعينه، في مكان بعينه، وزمان بعينه، لتقديم تجربة أنموذجية للناس جميعا حتى قيام الساعة.

---

[٤٠] – بين الائتمانية والدهرانية بين طه عبد الرحمن وعبد الله العروي، عباس أحمد أرحيلة، ص٢٣. من الإنسان الأبتر إلى الإنسان الكوثر، ص٩٠.

[٤١] – سؤال الأخلاق، طه عبد الرحمن، ص٥٤.

ومن ثم فإن المنظومة الائتمانية في السيرة النبوية تنبني على نظام تكاملي ترابطي جامع تنفي المنهج التجزيئي التبعيضي عن نصوصها والمنهج الإسقاطي عن وقائعها، إضافةً إلى عالميتها وصلاحيتها لكل زمان ومكان؛ لأنها لا تخضع للتغير أو التطور أو النسبية، بل هي قائمة في جوهر الإنسان من حيث هو إنسان.

وبمبدأ الائتمانية يمكن إحلال روح المنهاج النبوي في أوصال الأمة بكل ألوان التقريب والتيسير وبفقه يستبطن أثر النبوة غير مجزأ ولا مبعض.

ذلك المنهاج الجامع بين التعبد والتدبير، والمعنى والمبنى، والدعوة والدولة، والأخلاق والمجتمع، والتزكية والحركية، والعقل والنقل، والروح والكيان..

منهاج يطهر باطن الإنسان من علله النفسية ويرفعه عن حضيض الحيوانية الناطقة المتكلمة اللاغية إلى مرتبة الأنسنة السماعية العاقلية —مرتبة إنسان الفطرة– تتلقى الوحي وتتمثل قيمه استجابة لمنادي الحق جل وعلا.

ومجمل القول: إن المقصد الأعظم في درس السيرة العطرة هو تزكية نفس الإنسان، وتحويل وجهته نحو الصلاح، وتغيير إرادته نحو الإصلاح، بذلك يحقق حالة السواء، ويحافظ على الأمانة، ويتدرج في مراقي العمران، ويكونُ أهلا للشهادة على الأمم..

وهكذا فإن القراءة الائتمانية لنصوص السيرة الشريفة ووقائعها تتغيا تحقيق الكليات الأربع وهي:

توحيد الله تعالى، وتزكية النفس، وبناءُ العمران الآدمي العالمي، والشهادة على الناس.

خاتمة:

بناء على ما تقدم نصل إلى النتائج الآتية:

– إن الأمة في أشد الحاجة في كل فترة من فترات التاريخ إلى إعادة قراءة السيرة النبوية واستنطاق وقائعها لتصحح مسارها وسلوكها وتسير على منهاج مستقيم، حتى تجسد قيم الإسلام بصدق، وحتى تتخلص من ربق الاستدمار والاستعباد والتبعية، لتكون من جديد الأمةَ الوسط والأمة القطبَ بل خيرُ أمة أخرجت للناس.

–إن من أوجب الواجبات اليوم تجديد مناهج الاستمداد من السيرة النبوية بما يحقق مقاصدها وحكمها، في نشر الخير والفضيلة، والهدى والإصلاح، وبما يعودُ على الأمة بالنفع العظيم والخير العميم في مسيرتها العمرانية في الحاضر والمستقبل.

– إن المنهج الجديد للاستمداد من السيرة النبوية الشريفة لابد وأن تحكمَه منظومةُ الوحيِ العاصمة وقيمه الحاكمة ومقاصده الناظمة وكلياته الهدائية.

– إن قراءة السيرة النبوية العطرة بمنهاج كلي شمولي مقاصدي متكامل ضرورةٌ معرفية ومنهجية وحضارية ووجوديةٌ بالنسبة للإنسان، لا تُغني عنه القراءةُ الجزئية بأي حال من الأحوال.

– إن إعادة قراءة السيرة الخالدة يحتاج إلى استحضار المقاصد الكبرى للرسالة الخاتمة، ومراعاةِ السياقات الزمانية والمكانية للوقائع، واعتمادِ المنهج الاستقرائي التحليلي الأصولي، والإلمام بفقه الواقع من أجل الربط بين نصوص السيرة العطرة والواقع المتجدد، وتحريكها صَوْبَ المستجدات والنوازل والتحديات المعاصرة، والكشف عن صلاحية المنهاج النبوي لكل زمان ومكان.

– إن القراءة الواعية القاصدة للسيرة النبوية العطرة، تمكننا من استخلاص المنهاج النبوي الراشد في بناء منظومة الحياة في جوانبها المتعددة، بناءً يكفل لأمة الإسلام الانبعاث الصحيح الذي يحافظ على مكانتها وهويتها الحضارية وفعاليتها التاريخية وشهادتها على الأمم.

ثبت المصادر والمراجع:

١. الاجتهاد الجماعي في التشريع، عبد المجيد السوسوه الشرفي، سلسلة كتاب الأمة الصادر عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر، الرقم ٦٢، ذو القعدة ١٤١٨هـ، السنة ١٧.

٢. الاجتهاد المقاصدي، نور الدين الخادمي، تقديم: عمر عبيد حسنة، كتاب الأمة، عدد: ٦٥-٦٦، قطر، ط١: ١٩٩٨م.

٣. استخدام الرسول ﷺ الوسائل التعليمية، حسن بن علي البشاري ، تقديم: عمر عبيد حسنة، سلسلة كتاب الأمة، العدد ٧٧، جمادي الأولى١٤٢١هـ/ اغسطس ٢٠٠٠م، منشورات وزارة الأوقاف القطرية.

٤. أصول الإفتاء والاجتهاد التطبيقي في نظريات فقه الدعوة الإسلامية، محمد أحمد الراشد، ط١: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، دار المحراب، أبها.

٥. "اعتبار المقاصد الشرعية والمآلات من خلال السيرة النبوية"، مصطفى البكري الطيب الشيخ الهادي. (بحث منشور ضمن بحوث المؤتمر الدولي الأول للسيرة النبوية الشريفة، في موضوع: "تنزيل مقاصد الشرع وتعميق محبة الرسول ﷺ"، الذي نظمته جامعة إفريقيا العالمية بالسودان بالتعاون مع وزارة الإرشاد والأوقاف، يومي ١١-١٢ يناير ٢٠١٣.

٦. إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١: ١٤١١هـ/١٩٩١م.

٧. بين الائتمانية والدهرانية بين طه عبد الرحمن وعبد الله العروي، عباس أحمد أرحيلة، المؤسسة العربية للفكر والإبداع، ط١: ٢٠١٦م، بيروت.

٨. التجديد في عرض السيرة النبوية مقاصده وضوابطه، محمد يسري، كتاب دعوة الحق العدد ٢٣٩، منشورات رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

٩. تعامل الرسول ﷺ مع الاطفال تربويا، حفصة بنت محمد بن فالح الصغير، تقديم: عمر عبيد حسنة، سلسلة كتاب الأمة، العدد: ١٢٨، ذو القعدة ١٤٢٩هـ/ نوفمبر ٢٠٠٨م، منشورات وزارة الأوقاف القطرية.

١٠. سؤال الأخلاق مساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-بيروت، ط٥: ٢٠١٣.

١١. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، تحقيق: شعَيب الأرنؤوط ومحَمَّد كامِل قره بللي، دار الرسالة العالمية، ط١: ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

١٢. السيرة النبوية الصحيحة محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية، أكرم ضياء العمري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط٦: ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٤م.

١٣. "السيرة النبوية فوائدها وأشهر مصادرها"، عبد العزيز فارح، مجلة السنة النبوية، العدد الثالث، أبريل ٢٠٠٣.

١٤. "السيرة النبوية مشروعا حضاريا"، عماد الدين خليل، مجلة حراء، العدد٣، أبريل-يونيو ٢٠٠٦م.

١٥. "ربط أحداث السيرة الشاملة بمجال عملها (الزمان-المكان-الإنسان) آلياته ومتطلباته وآثاره"، أحمد محمد زايد، بحث منشور ضمن بحوث المؤتمر الثالث للباحثين في السيرة النبوية، الذي نظمته مؤسسة مبدع للدراسات المصطلحية بفاس أيام: ٢٤-٢٦ صفر ١٤٣٨هـ/٢٤-٢٦ نوفمبر ٢٠١٦م. في موضوع: "السيرة النبوية الكاملة الشاملة قضاياها النظرية والمنهجية والتطبيقية".

١٦. في السيرة النبوية قراءة لجوانب الحذر والحماية، إبراهيم علي محمد أحمد، سلسلة كتاب الأمة الصادر عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر، العدد ٥٤، رجب ١٤١٧هـ-/السنة ١٦.

١٧. "مدخل إلى فقه منهاج الإصلاح في السيرة النبوية"، الطيب برغوث، بحث منشور ضمن بحوث المؤتمر العالمي الثاني للباحثين في السيرة النبوية، الذي نظمته مؤسسة مبدع للدراسات المصطلحية بفاس: ٢٦-٢٨ محرم ١٤٣٦هـ/٢٠-٢٢ نونبر ٢٠١٤م.

١٨. مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

١٩. "معالم المنهج المنشود للإصلاح والبناء الحضاري من خلال السيرة النبوية"، أحمد زايد، بحث منشور ضمن بحوث المؤتمر العالمي الثاني للباحثين في السيرة النبوية، الذي نظمته مؤسسة مبدع للدراسات المصطلحية بفاس: ٢٦-٢٨ محرم ١٤٣٦هـ/٢٠-٢٢ نونبر ٢٠١٤م.

٢٠. المنهج النبوي والتغيير الحضاري، برغوث عبد العزيز بن مبارك، سلسلة كتاب الأمة الصادر عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر، العدد ٤٣، رمضان ١٤١٥هـ.

٢١. من الإنسان الأبتر إلى الإنسان الكوثر، طه عبد الرحمن، المؤسسة العربية للفكر والإبداع، بيروت، ط١: ٢٠١٦.

٢٢. وثيقة المدينة المضمون والدلالة، أحمد قائد الشعيبي، سلسلة كتاب الأمة الصادر عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر، العدد ١١٠، ذو القعدة ١٤٢٦هـ، السنة ٢٥.